المباشرة هنا ، تحجب ايحاءات درويش في عشقه لفلسطين . فتوفيق زياد ، يسرع نحو الهدف ، لا يترك للموضوعة ان تتشكل وحدها ، فطالما الراس « موضوع تحت السكين » فان الامكانية الوحيدة المتاحة ، هي في الارتداد الى الماضي وبعثه . الماضي ليس واقعا جامدا ، انه مجال رحب يسمح للشاعر ان يشير الى ما يريد قوله . فحطين تأخذ مدلولا رمزيا محددا هنا . واذا كان الشاعر لا يستطيع ان يقول ما يريده فانه يترك للماضي المجال واسعا ، كي يجعل الناس تفهم وبالتالي تتجاوب ، مع الذي كان يريد قوله . وسالم جبران ، يأخذ الواقع مباشرا ، كما هو . يعرضه كما يعيشه . لا يتدخل مطلقا في رسم لوحته . اللوحة يرسمها المحتل . وهو مجرد انسان يحمل آلة فوتوغرافية ويريد ان يسجل ما يجري ففي قصيدته الى **ج. ب. سارتر** يقول :

« انا ابن فلسطين
انبح في كل عام
وفي كل يوم
وفي كل ساعة
تعال تامل صفوف البشاعة
واهونها ان دمي يسيل »(١٢).

اذا كان سالم جبران ، يصور دماءه من الخارج ، فانه يريد اعطاء الناس صورة عما يجري في الواقع ، يبتعد عن واقعه ، ليصير اقرب اليه . وقصيدته هذه اذا افتقدت الى الحرارة فلانها مشاعر عارية ، عارية من الصور وعارية من الايقاع ، وعريها ، يعطيها قدرة على الايحاء ، رغم انه يدنيها من النثر . فقيمتها الوحيدة انها خرجت من الداخل ، وايحاؤها يأتي من النظر الى الداخل خارجيا » .

يصبح الشعر-هنا وسيلة للوصول الى موضوعتين : ١ ــ تأكيد الذات الجماعية : فالاقلية العربية يوحدها العدو عبر عملية سحقها ، والعدو يستعمل في محاولته جميع الوسائل ، وعلى راسها التفرقة الطائفية . بهدف تمزيق العرب الى طوائف . من هنا تأخذ موضوعة العودة الى الماضي والتجذر فيه ، والتأكيد على الهوية العربية اسبابها وضرورتها في آن . ٢ ــ محاولة استكشاف الواقع . الواقع جدار سميك ، لا تخرقه سوى انتصارات ومعارك بطولية تجري في الجزائر ، او قتال يقوم في بور سعيد . من هنا كان انشداد عرب الارض المحتلة الى الخارج العربي ، محاولة منهم للثقة بقدراتهم الذاتية . فالهزيمة كانت اكبر من المتوقع ، واذا كانت اجهزة الاعلام العربية قد حولتها الى مادة للمزايدات والشعارات الفارغة . فانها هناك عند عرب الارض المحتلة واقع يومي يجثم على الصدور . واقع لا يغطيه اي شيء . مكشوف وكاشف في آن . هكذا تأخذ عملية الارتداد نحو انتصارات العرب في الخارج مشروعيتها . انها تجعل الفلسطيني يحس بانتمائه الى البحر العربي ، ويخرج من الصدفة التي تحاول اسرائيل أن تحشره فيها . ان هذه الرؤية ، ان حاولت ان تأخذ لنفسها مضمونا متقدما ، مضمونا احتجاجيا ، فانها تبقى على المستوى الفني خطابية ومباشرة . الشعر عالم من الخطابة . والشاعر هو المحرض الرئيسي . والزعيم السياسي . الشعر الفلسطيني يتبنى التفعيلة الواحدة ، لكنه يشحنها بنبرة خطابية مباشرة . الشعر ليس للقراءة ولا للتأمل . انه للتحريض فعله سياسي في الاساس . غير أن غرق الشعر في السياسة ، وان كان يمنعه من البحث التشكيلي ، فانه لا يمنعه من اكتشاف المضامين الانسانية ، فالتراث يصبح جزءا من المستقبل يصبح « تقدميا » بهذا المعنى اذا شئنا والرموز الرومانسية يجري تهشيمها . والشعر يكتشف لنفسه فاعليته المباشرة واثره السياسي والحضاري .